السلوك الإجرامي القاتل من خلال اختبار الرورشاخ ***Rorschach***

غبريني رشيد*
جامعة يحي فارس بالمدية (الجزائر)،
الإيميل المهني
rachidrobrini@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/09/15 تاريخ القبول: 2023/12/26 تاريخ النشر: 2024/01/31

ملخص:
لقد حاولنا من خلال مقالنا هذا أن نجمع بين السلوك العدواني بصفة عامة و بين العدوانية القاتلة من خلال الاختبار الإسقاطي " الرورشاخ " ، محاولين في ذلك يرد بعض النظريات التي تناولت موضوع العدوان و السلوك العدواني على غرار النظرية السلوكية و التحليلية و البيولوجية و غيرها ... . لتدعيم ما قلناه في الجانب النظري ، ارتأينا ا نضع نموذجا للعدوانية القاتلة و هذا من بروتوكول اختبار " الرورشاخ " و تحليله . هذا البروتوكول كان لإرهابي تائب التحق بالجماعات المسلحة سنة 1993 في سِن ال20 ، حيث كان يَنْشُطْ في جبال المدية, قد نبين هذا البروتوكول كيف يُمْكِنْ أن تظهر العدوانية القاتلة من خلال اختبار "الرورشاخ " ، فكيف لهذا الأخير أن يصبح أداة من أدوات التنفسية.تعتبر نظرية الإحباط - العدوان أكثر النظريات تداولا و هي نظرية Dollard ، الذي يرى أن هناك علاقة سببية عالمية بين الإحباط و العدوان ، فكل إحباط و لو غير مرئي قد يولِّد عدوانية ، و كل عدوانية و لو غير مرئية ، قد تكون مسبوقة بإحباط .لقد أظهرت هذه النظرية نوع من الإبداعية و الاكتشاف ، إلا أنها تعرضت لبعض الانتقادات و هذا على المستوى النظري و على مستوى المفهوم وكذا على مستوى الخبرة و الملاحظة.يتعلق الجانب التطبيقي في دراستنا هذه ، في تقديم

* **المؤلف المرسل**

وعرض حالة لتائب استفاد من قانون المصالحة بعد ما التحق بالجماعات المسلحة سنة 1994 .
كلمات مفتاحية: العدوانية , الاسقاط , السلوك , التنفيس .

Abstract:
We have tried, through our article, to combine aggressive behavior in general with lethal aggression through the projective test "Rorschach" , trying to refute some theories that dealt with the subject of aggression and aggressive behavior along the lines of behavioral , analytical , biological theory and others … .
To support what we said on the theoretical side, we decided to put a model of lethal aggression from the "Rorschach" test protocol and its analysis. This protocol was for a repentant terrorist who joined the armed groups in 1993 at the age of 20, where he was active in the Medea Mountains. This protocol shows how lethal aggression can appear through the "Rorschach" test, so how can this latter become a respiratory tool. The frustration-aggression theory is the most widely circulated theory, and it is the Dollard theory, which believes that there is a global causal relationship between frustration and aggression.
Every frustration, even if invisible may generate aggression and every aggression, even if invisible, may be preceded by frustration.
It has been shown this theory is a kind of creativity and discovery, but it has been subjected to some criticism, and this is at the theoretical level and at the concept level, as well as at the level of experience and observation in 1994.

*المؤلف المرسل غبريني رشيد

1.مقدمة :

غالبا ما عممت نتائج الاختبارات الاسقاطية على جميع اصناف المفحوصين هذا مهما كان نوع التوظيف النفسي الذي يندرجون فيه , إلا ان الدراسات النفسية الاكلينيكية الحديثة اثبتت ان نتائج الاختبارات تختلف من مفحوص لآخر حيث لا يستجيب العصابي كالذهاني و الذهاني كالحد .

اما الذي يتميز بسلوك عدواني خطير قد بصل الى حد القتل فقد تكون نتائجه في اختبار الرورشاخ تتميز بعض الميزات مثلا في محتويات البروتوكول و الاشكال ...الخ (bezeman, 1974, p. 21) .

هذا ما سوف نتطرق اليه في مقالنا هذا .

من خلال سلف ذكره , لابد علينا ان نتساءل و نطرح الاشكالية التالية .

هل يمكن اختبار الرورشاخ ان يصبح اداة للتنفيس عن الضغوطات النفسية بالإضافة الى كونه اداة من ادوات التشخيص العيادي , وبالتالي يمكن المفحوص من التخفيف من الضغط و التوتر ؟

من هنا , لابدمن وضع فرضيات تمكننا كن تحديد الموضوع اكثر .

الفرضية الرئيسية : قد يكون اختبار الرورشاخ وسيلة من وسائل العلاج النفسي .

يجب أن تحتوي مقدمة المقال على تمهيد مناسب للموضوع، ثم طرح لإشكالية البحث ووضع الفرضيات المناسبة، بالإضافة إلى تحديد أهداف البحث ومنهجيته.

تُعتبر هذه الدراسة حوصلة لاستنتاج تم من خلال تحليل نتائج بروتوكولات عديدة ، حيث طُبق هذا الاختبار على 20 مفحوص تميز سلوكهم بالعنف و العدوان و الذي أدى بالبعض منهم إلى ارتكاب جرائم قتل .

و تشمل هذه الدراسة إذن على جانبين ؛ جانب نظري ، يشمل على وصف السلوكات العدوانية و أسبابها وجانب تطبيقي يحتوي على دراسة حالة ، نبين من خلالها اهم مميزات الشخصية العدوانية والعنيفة من خلال الاختبار الاسقاطي Rorschach .

- **تعريف السلوك**
- **مفهوم السلوك العدواني :**

انطلاقا من مختلف التعريفات السابقة للسلوك العدواني ، يمكننا وصف السلوك الذي تظهر فيه العدوانية بشكل واضح نسبيا :

- الشكل الظاهري : يمكن أن يتعلق الأمر بالألفاظ ، كالنقد اللاذع ، شتم ، سب ، تمنيات العدوان أو الموت ، تهديد لفظي أو مكتوب ، مطلب مطروح بطريقة عنيفة أو مرفوض بالابتزاز و الرفض المنقص لقيمة الشخص ، يمكن كذلك لهذه الالفاظ أن تأخذ شكلا ملتويا أو الوشاية الكاذبة أو الاتهام(begue, 2010, p. 43) .

- **الشكل الفعلي** :نجده ملفتا للانتباه أكثر و منه الحركات المشيرة للغضب ، التهديد ، الاحتقار الضرب ، الجرح . يمكن لهذه الأفعال أن تمارس بطريقة مباشرة يعتمد فيها المعتدي على قوته العضلية و في حالات أخرى يستعمل فيها وسيط مثل : السلاح الأبيض أو فخ أو حيوان مروض للاعتداء و في حالات أخرى يأخذ السلوك العدواني شكلا أكثر ظهورا عندما يمارس المعتدي غضبه على ممتلكات خصمه مثل : التحكيم ، التكسير ، الاتلاف و الحرق(hacker, 1972, p. 14) .
- **الفرق بين العنف والعدوان:**

العنف هو سلوك لا يتعدى الاعتداء الجسدي ، أما العدوان هو الميل إلى الهجوم على الأخر ، أو على شئ يمكنه أن يمثل عائقا في تحقيق رغبة حسية ، بالتالي فالعمل يقتضي وجود ضحية عكس العدوان(chemama & vandermersch, 2009, p. 70) .

- خصائص السلوك العدواني
- النظريات المفسرة للسلوك العدواني
- التفسير الفيزيولوجي و البيولوجي و العقلي:

تنظر النظرية البيولوجية إلى أن الإنسان عدواني بطبيعته ، وأن السلوك العدواني محصلة للخصائص البيولوجية للإنسان ، وقد أشارت نتائج الدراسات إلى وجود علاقة بين السلوك العدواني من جهة و اضطرابات الجهاز العصبي و الكروموزومات و مستوى النشاط الكهربائي في الجهاز العصبي المركزي من جهة أخرى ، كما أكدت هذه النظرية على الدور الذي تلعبه العوامل الجينية في تكوين السلوك العدواني عند الأفراد.

إذ يرى أصحاب الاتجاه الفيزيولوجي أن للعطب الذي يصيب الدماغ دور رئيسي في سلوك العنف ، فقد وجد 70 بالمائة ممن يعانون من صدمات مرضية أصابت عندهم الدماغ يستجيبون بعنف و عدوانية لأتفه المثيرات ولأسخف الأسباب ، كما وُجد أن أي عطب يصيب الدماغ يمكن أن يؤثر في وظائف الفصوص الأمامية أو الصدغية منه ، و هي المناطق التي تتحكم بالمنطق و الحكم العقلي و بالانفعالات الفجة انفصال الغضب الهيجاني.

كما دلت بعض الأبحاث الحديثة الى أن الأفراد ذوي الاضطرابات العقلية الخطيرة هم أكثر عدوانية في سلوكهم مما يمكن أن يكون عليه سواهم . ويقدر الباحثون أن نسبة 7 بالمائة من مرتكبي السلوك العدواني والعنف يعانون من مثل هذه المشكلات ، و يذكر " دافيدورف" أن لأجهزة المخ دورا في العدوان ، ذلك من خلال تكثيفها لدور الدوائر العصبية المسيطرة على العدوان في أداء وظيفتها ، و يمكن أن تمنع الدوائر العصبية من أداء وظيفتها فعندما قام علماء النفس ، بإثارة الجزء الجانبي من الهيبوثلاموس لقطة ، قام الحيوان بمهاجمة الفار و لكن بطريقة نمطية وأن هذا السلوك الهجومي يختفي كلما نزعت الاستثارة ، و يؤكد الهيبوثلاموس دور مثير و محبط.

كما اظهرت التجارب أن تخريب بعض التشكيلات الدماغية يؤدي إلى ظهور حالات من الغضب والسلوك العدواني ، فعندما أجريت عمليات جراحية في الفص الجبهي من الدماغ عند القرود التي توجد في جماعات لوحظ أن العلاقات الاجتماعية للجماعة تتأثر و تتعرض للانحلال ، فالقرود ضعيفة النفوذ في الجماعة لم تعد تتحمل القرود صاحبة النفوذ ، بل على خلاف ذلك بدأت تهاجم الحيوانات قوية النفوذ بصورة موازية ، وهذا يشير إلى ان بنية الجماعة قد تعرضت للتفكك تحت تأثير هذه العمليات .

- التناول السلوكي في تفسير العدوان :

و من العوامل الرئيسية الأخرى التي ساعدت على إهمال تجارب زمن الرجع في قياس العمليات المعرفية هو ظهور النظرية السلوكية ل (Watson) في مطلع القرن العشرين .
فقد أوضح Watson أن أي تصورات خاصة بالعقل و كيف تعمل من الداخل هي تصورات غير مقبولة لأنها غير خاضعة للملاحظة والتجريب .

وأن مهمة علم النفس في رأيه هي دراسة السلوك من خلال الملاحظة المنظمة والتجريب لغرض الكشف عن القوانين والمبادئ العامة التي يقوم عليها السلوك الإنساني ، و بهذا ابعدت النظرية السلوكية الطابع المعرفي عن دراسة العمليات العقلية العليا من إدراك و تذكر و تصور و تفكيك ، و ربطت هذه العمليات جميعا بمفهوم المنبه و الاستجابة .
إذ ينظر السلوكيون للسلوك العدواني على أنه كغيره من أنماط السلوك الإنساني محكوم بتوابعه ، اي أن السلوك العدواني تزداد احتمالات حدوثه عندما تكون نتائجه إيجابية ا معززة ، و تقل احتمالات حدوثه عندما تكون نتائجه سلبية أو عقابية . و يعد هذا المبدأ حجر الأساس في مفهوم الاشتراط الإجرائي الذي طوره العالم (Skinner) و يتم علاج السلوك العدواني بناءا على تفسير هذه النظرية من خلال أساليب تعديل السلوك المختلفة و العقاب و العزل و التعزيز التفاضلي و التصحيح الزائد و غيرها.

و السلوك العدواني حسب هذه النظرية سلوك متعلم إذ ما ارتبط بالتعزيز ، فإذا ضرب الولد شقيقه و حصل على ما يريد فإن احتمال تكرار السلوك العدواني يقوي ، فالسلوك العدواني لا يحدث بالصدفة و لكنه يخضع لقوانين معينة كبقية أنماط السلوك الإنساني الأخرى ، بعبارة أخرى فتحليل السلوك العدواني يتطلب اكتشاف القوانين التي يخضع لها .

و من هنا فإن العدوان من وجهة النظر السلوكية، سلوك يتعلمه الفرد كي يحصل على شيء ما، و قد انتقص السلوكيون أيضا من قيمة التفكير و لكن لأسباب جد مختلفة ، حيث رفض السلوكيون الاوائل كل المعطيات و المفاهيم المستمدة من تأمل الإنسان لخبراته الواعية ، و لم يأخذوا إلا بالسلوك الظاهر و الموضوعي والا فلا يمكن اعتبارها معطيات علمية صادقة و لم يشذ الطب التقليدي على المدرسة السلوكية و مدرسة التحليل النفسي في

الانتقاص من أهمية الفكر الواعي ، فطبيب الأعصاب لا يعول على أفكار المريض و مشاعره في فهم حالته و تفسيرها ، إنما يستعملها ليشخص الحالة فقط .
وأن هذه المدارس المعاصرة إذ تستهين بقدرة المريض على فهم نفسه بنفسه و على حل مشكلاته بما لديه من ملكة العقل ، إنما يجرد المريض من سلاحه الاصلي و يحرمه من استعمال عقله في تحليل مشاكله ...، بيد أن النموذج المعرفي يستمد مادته الأولى من ادلاءات المرضى بملاحظاتهم الاستبطانية لأفكارهم و مشاعرهم ، ثم يكشف الصلة بين الأفكار و المشاعر و يؤسس بعد ذلك أي نوع من الأفكار أو المعاني يؤدي إلى هذا الانفعال أو ذاك .
إذ يؤكد Arnold ' 1960 و هو من أوائل المنظرين الذين ابرزوا دور المعرفة في توليد الانفعالات كما أن الانفعال هو عملية تبدأ حالما ندرك شيئا ما و تقيمه ، و نقرر أن كان خيرا لنا أو شرا، وإنما يتوقف نوع الانفعال على مدى تقييم الشخص المثير (المنبه) ، فما أراه خيرا لي و نفعا من شأنه أن يؤدي إلى انفعالات من قبيل السرور و اللذة و السعادة ، و من شأنه ما أراه شرا لي و ضرا أن يورثني الحزن و القلق و الغضب . رغم أن Arnold و علماء النفس التجريبين مثل " ريتشارد لازاروس " (1966) و ممارسين علاجيين مثل " ألبرت أليس " (1962) قد حددوا بوضوح ذلك الطريق يربط التفكير بالانفعال ، فقد فاتهم أن يحددوا أي نوع من التقييم يؤدي إلى هذا الانفعال أو ذاك (أرون، 2000، صفحة 35).

- **نظرية التحليل النفسي و تفسيرها للسلوك العدواني :**

تعتبر مدرسة التحليل النفسي الكلاسيكي أن الأفكار الواعية ما هي الا تمثيل مقنع لما يعتلج بالداخل من صراعات لاشعورية هي وحدها مكمن الداء ، أما تعليلات المريض لمرضه فهي تبريرات زائفة ، و آلياته التكيفية فمجرد دفاعات.

إن أفكار المريض الواعية و استدلالاته العقلية و أحكامه و حلوله العملية لمشكلاته كل ذلك لا يجب أن يؤخذ بمعناه الظاهر ، إنما هي معايير موقوتة توصلنا إلى المكونات الخفية العميقة للعقل ، ثم لا يعدو شأنها أكثر من ذلك (بيك 2000) في هذا الصدد يرى Freud أن العدوانية تتواجد على حالتين ، من جهة نجدها كمكون الغريزة (السادية) ، من جهة أخرى نجدها مرتبطة بمحاولة الأنا للبقاء و الإثبات ففي الحالة الأولى (تتمركز العدوانية حول مواضيع الحب الأول الفمية والشرجية أين يوافق هدفها الضغط الذي تسببه هذه المواضيع، أما في الحالة الثانية فإن العدوانية سببها قيام الأنا بمحاولاته الدائمة لتحطيم كل الأشياء والموضوعات التي تُعتبر بالنسبة إليه منابع المعاناة و الألم و الإحباط و التي تهدد تأكيده و بقاءه . (Gustave, 1955, p. 23)
كما اهتمت هذه النظرية بجذور السلوك العدواني، فقد استخدم Freud غريزة الموت في تفسيره النزعة العدوانية للإنسان ، فالسلوك العدواني تدمير للذات ، فالشخص يقاتل الآخرين و ينزع إلى التدمير لأن رغبته في الموت قد اعاقتها غرائز الحياة ، وهو يرى أن السلوك

العدواني سلوك غريزي هدفه تصريف الطاقة العدوانية التي تنشأ داخل الفرد ، و يعد Freud من أشهر القائلين بنظرية الغرائز في العدوانية من علماء التحليل النفسي ، فهو يرى أن السلوك العدواني هو الدافع الأساسي و المحرك الرئيسي للإنسان مثلها مثل بقية الدوافع الفيزيولوجية الأخرى كالمأكل و المشرب و المسكن و تتعامل نظرية التحليل النفسي مع السلوك العدواني بوصفه استجابة غريزية إذ ترى بأنه لا يمكن ايقاف السلوك العدواني أو تقليله ، من خلال الإصلاحات الاجتماعية أو تجنب الإحباط بمعنى أن المحلل النفسي يعتقد أنه لا توجد طريقة فعالة لمعالجة السلوك العدواني ، و لكن ما يستطيع المعالج عمله هو تحليل السلوك العدواني وتوجيهه نحو أهداف بناءة بدلا من الأهداف التخريبية و الهدامة (freude, 1967, p. 60)

و بعد أن وسع فرويد مفهوم الليبيدو بإضافة غريزة بقاء الذات إليه و سماها Eros وأشار إلى وجود غريزة الموت و اعتبرها القطب المعاكس لليبيدو وأن واحدة من حقائق هذه النزعة إلى الانتحار الموجودة عند بعض الأشخاص و نزعة أخرى هي النزعة السادية Sadisme و التي تعني بالأصل الشذوذ الجنسي الذي يمزج الفعل الجنسي بتعذيب المحبوب ، إلا أن فرويد وسع معنى الكلمة و جعلها تشمل كل مظاهر العنف و التخريب لذلك غير فرويد من نظرياته ليؤكد على أن العدوانية متصلة بغريزة الموت أكثر من غريزة الحياة...، فهي الشكل الذي تتخذه غريزة الموت عندما تتوجه بجزء منها نحو الخارج حيث يتحدث فرويد عن وجود نزوتين توجهان المتغضن و تمدانه بالطاقة الحيوية ، نزوة الحياة (ايروس) و نزوة الموت (ثانتوس) ، فنزوة الحياة هي منبع الطاقة الجنسية المسؤولة عن كل ارتباط إيجابي مع الآخرين ، و نزوة الموت تهدف إلى التدمير و حين تتركز في المتغضن أو ترتد إليه تؤدي إلى تدميره و افنائه ، أما إذا توجهت إلى الخارج فإنها تأخذ كل أشكال العدوانية و العنف و الحقد و عندما تتوجه إلى الذات تأخذ شكل مشاعر الإثم وادانة الذات و القسوة عليها . ...

ويقول فرويد أيضا أن الليبيدو هو الطاقة الجنسية الممثلة لنزوة الحياة ، في صراع مفتوح مع غريزة الموت في كل منغضن ، و مهمة الليبيدو هي لجم نزوة الموت و منعها من تدمير المتغضن و ذلك بتوجيه القسم الأكبر منها إلى الخارج ، و النزوتان متفاعلتين و لا توجدان إلا في حالات نادرة بشكل صاف ، إن العدوانية يمكن أن تتراكم وتهدد الشخص من الداخل إلى إسقاطها على الموضوعات الخارجية التي تصبح هي رموز الشر والعدوان (التماهي الاسقاطي عند M . Klein) عندها يصبح الآخرون هم المخطئون و يجوز توجيه العدوانية ضدهم .

و يرى المحللون النفسيون أن مفهوم العنف يأخذ معناه عند الطفل ابتداءا من تفهمه المعاني و الكلمات المجردة اي عندما تنتظم حياته النفسية حول الإحساس بالخطأ و الذنب أما قبل ذلك فإن الطفل يبقى مرتبطا بغرائزه ومتعلقا بها(frappat, 2000, p. 78)

- **نظرية الإحباط ـ العدوان:**

ان أكثر النظريات تداولا هي نظرية الإحباط - العدوان بدولارد 1939Dollard الذي يرى حسب هذه الصيغة أن هناك علاقة سببية عالمية بين الإحباط و العدوان ، فكل إحباط و لو غير مرئي قد يولد عدوانية و كل عدوانية و لو غير مرئية قد تكون مسبوقة بإحباط .

لقد أظهرت هذه النظرية نوع من الإبداعية و الاكتشاف إلا أنها تعرضت لبعض الانتقادات و هذا على مستوى النظري و على مستوى المفهوم وكذا على مستوى الخبرة والملاحظة فقط .

إذا عرفنا الإحباط على أنه حاجز يتعرض له الشخص عند تحقيق هدف ما ، فمن الواضح أن ليس كل كبت يؤدي حتما إلى العدوان ، فإن هناك وضعيات أخرى يمكنها أن تولد العدوان .

- إعادة صياغة نظرية الإحباط ـ العدوان:

استبدل مصطلح الكبت بمصطلح المثير المزعج Stimulus Désagréable فهو يحمل أقسام من الكبت على سبيل المثال : التعرض للشتم أو للتغير في الأحوال الجوية ، كما ظهر مفهوم جديد في هذا السياق و هو مفهوم المنع النسبي Privatisation relative فمثلا شخص اناني يتصرف بطريقة عدوانية إذ شعر أنه مجحف بالنسبة للآخرين ، في حالة ما لم يتحصل على ترقية كان ينتظرها ، بينما تحصل عليها الآخرين .

هذا ما يسمى بالمنع النسبي و الذي يظهر عندما لا يتصرف الإنسان على المستوى الفردي بل يتصرف على أساس أنه عضو في مجموعة تعرضت للإحباط بالمقارنة مع مجموعة أخرى.

فمثلا : يتمتع بعض العمال بالاستفادة من الساعات الإضافية مقارنة بعمال آخرين .

لقد اقترح العالمان Guimonaو Tougas مميزات أخرى على مستوى النظري و التي من شأنها أن أظهرت أهمية الحركات الاحتجاجية أكثر من العدوان الفردي .

من اشهر الصياغات الجديدة نجد تلك اقترحها Berkowitz أين يرى أن المثيرات المزعجة تحدث اتجاهين على مستوى القيام بالفعل إما الهروب أو الهجوم ، و هنا يختار الشخص أحد الاتجاهين حسب الظروف وحسب خبراته السابقة .

إذا اختار الشخص اتجاه الهجوم ، فهذا ينجر عنه تفعيل فيزيولوجي ، سلوكات حركية للاستعداد ، تذكير لحلقة عدوانية ، انفعال الغضب المتفشي وأخيرا يتحول كل هذا إلى عدواني اندفاعي خاصة إذا لم تكن درجة الكف مرتفعة .

- **التفسير الاجتماعي المعرفي للسلوك العدواني:**

يرى انصار هذا الاتجاه أن السلوك العدواني يرتبط بنوع و طبيعة الثقافة العامة السائدة في المجتمع و الثقافة الفرعية الخاصة بالأسرة و الطبقة التي يعيش فيها الفرد ، حيث أن الثورة على الأوضاع السيئة تؤدي دورا كبيرا في سلوك الجانح ، لأن الفرد يسعى إلى تحقيق ذاته بالعيش في طمأنينة ، وأن ينال من مجتمعه ما يناله غيره من أفراد المجتمع ، فإذا كانت الفروق كبيرة بين الطبقات الاجتماعية فإنه يميل إلى العنف و ينحرف سلوكه عن كل ما يعتبره هذا المجتمع قيمة صالحة .

فقد يعتبر أن التفكك الاجتماعي هو السبب الأول للسلوك المنحرف ، إذ يعرفه "م . أليوت " بقوله

" الاضطراب أو الانشقاق أو الصراع الذي يتعرض له المجتمع ، فيؤثر على العادات الاجتماعية و السلوكية المقررة أو على النظام الاجتماعي و ضوابطه " .

وفي هذا السياق يرى Douga , 1998 أن العدوان يعتبر سلوكا يُكتسب و يتعلم اجتماعيا و هو محدد بالحالة الشخصية للفرد المستمدة من مختلف الخبرات المحصل عليها خلال حياته السابقة .

إذ قام الباحث في مقال له بمراجعة وتحليل أهم النظريات التي تؤمن بالطابع العدواني للفرد بغض النظر عن شخصيته ، و التي تفسر العدوان انطلاقا من منظور يؤكد على أهمية و دور العوامل الوراثية والبيولوجية ، ليقدم لها نقدا يوضح و يبرز فيه دور التعلم و العمليات المعرفية والخبرات السابقة

(كالعقاب) التي يمر بها الفرد و التي تساهم بقسط وافر في اكتساب السلوك العدواني وذلك في ضوء ما نصت عليه النظريات النفسية و الاجتماعية و نظرية التفاعل .

ومع اعتبار علم النفس المعرفي من الاتجاهات النظرية الحديثة في علم النفس التي لقيت اهتماما في البحث والدراسة لا يقل عن الاهتمام الذي لقيه علم النفس السلوكي ، إذ تسعى النظريات المعرفية كغيرها من نظريات علم النفس إلى تفسير السلوك البشري و فهمه ثم تطبيق هذا الفهم في مجالات مختلفة من حياة الفرد ، كالتعلم والصناعة و التجارة ، و العلاج النفسي... و مع ارتباط البحوث المعرفية في علم النفس بدراسة زمن الرجع المعروف أنه الزمن الذي يستغرقه الفرد منذ ظهور المنبه و حتى لحظة الاستجابة وعلى الرغم من خلال علماء النفس حول أهميته كمؤشر لدراسة العمليات العقلية العليا .

فقد ازدهر هذا النوع من البحوث في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ثم أهمل تماما في النصف الأول من القرن العشرين ليعود مرة أخرى للظهور بعد الانتهاء من الحرب العالمية الثانية ذلك كرد فعل لظهور علوم جديدة مثل علم الكمبيوتر و علم هندسة الاتصال .

إن جريمة القتل هي أعلى درجات السلوك العدواني ، لأنها تمثل اعتداء و عنف مع نية القتل ، التي ينجرُ عنها عقوبة السجن المؤبد ، إلا أن الأمور ليست بهذه السهولة ، عندما يتعلق الأمر بتحديد المسؤولية الجنائية في مثل هذه السلوكات .

لذلك و منذ القرن ال18 عشر أدخل مصطلح القتل ، ثم بعد ذلك اين اقيمت دراسات عديدة في مجال علم النفس و مجال علم الإجرام ، مما أدى بالأطباء العقليون و النفسانيون الاهتمام بالعوامل التي تمكن من تحديد الاضطرابات التي من شأنها نزع المسؤولية الجنائية عن القاتل ، و لكن هذه المصطلحات أدخلت الباحثين النفسانيين في صراع مع القضاة نظرا لغموضها و صعوبة تحديدها .

في أيامنا هذه ، يرى الباحثون والدارسون أنه من الضروري إلغاء النظرية التي ترى أن الشخص العدواني والعنيف هو مجرم بالفطرة ، كما أنهم يروا كذلك وجوب استبدال هذه الفكرة بمفهوم الشخصية الإجرامية وبالتالي تحديد السلوك والتنبؤ بالمرور للفعل الإجرامي .

هذا ما يجعل هؤلاء المختصين مجبورين على الاهتمام أكثر بخصائص شخصية القاتل وتفاعلاتها الاجتماعية، ضف إلى ذلك الظروف الاقتصادية للقاتل ، حالته العائلية ، دوافعه و نوع الضحية .

في خضم هذه العوامل و الظروف نجد كذلك أن معظم الجرائم مرتكبة من طرف أشخاص شبان و التي إذا ما قارنا بين خطورة الجريمة و الدافع، نجد فرق شاسع حيث أن معظم الجرائم ارتكبت بدافع للقيمة له ، هذا ما يدل على أن لهؤلاء المجرمين شخصية متميزة عن شخصية غير المجرمين .

- اذا بماذا تتميز شخصية المجرمين في اختبار الرورشاخ ؟

تتميز شخصية المجرمين في اختبار الرورشاخ ب :

- قلة الأجوبة ، 10 إجابات كأقصى حد ، عوضا عن 20 أو 25 إجابة عند غير المجرمين .
- قلة نسبة الإجابات الشاملة .
- قلة نسبة المحددات الإيجابية +. F
- وجود محددات من نوع . ClOB
- سيطرة النوع المنغلق لنمط الرنين الحنيني. TRI
- وجود إجابات ذات محتويات جنسية .
- معطيات محدودة و غير مميزة و التي تمكننا من إيجاد عرض معين .

من جهة أخرى ، أثبتت الدراسات أن معظم هؤلاء المفحوصين يتميزون بمستوى تعليمي منخفض ، 10% منهم اميين ، لا يجيدون الكتابة و القراءة ، 89% يستطيعون الكتابة و القراءة إلا أنهم لا يحملون أي شهادة ، 1% فقط حامل شهادة تقني سامي في البناء .

كما تجدر الإشارة في تحليل هذه البروتوكولات إلى أن معظم المفحوصين يعانون من ضعف الأنا نظرا لوجود اضطرابات كبرى في العلاقة بالموضوع فيما يتعلق بنسق التقمص ، اي تقمص المعتدي هذا ما يجعل من هؤلاء المفحوصين يتميزون بشخصية ما قبل ذهانيةPrépsychotique مع وجود إشكالية أبوية في شخصية منغلقة

مما يدل على بنية صراعية تسيطر عليها إشكالية أبوية تظهر في صعوبة التقمص الإنساني .

أن رفض الاجابات على لوحات الرورشاخ يعتبر في غالب الأحيان رفض تام لصدمة بمختلف أنواعها و أسبابها ، هذا ما يميز كذلك بروتوكولات أفراد عينتنا .

أما فيما يتعلق بميكانيزمات الدفاع فإننا نلاحظ أن ما يميز أفراد عينتنا هي ميكانيزمات مثل : الكتب ، الابعاد ، التقمص البدائي للموضوع .

- وجود غلبة و سيطرة العوامل الاضطهادية مما يجعل المفحوص في حالة اكتئابية ناجمة عن ظروف حياتية صعبة .
- وجود بصفة واضحة إجابات عديدة ذات محددات لونية CFو . c
- قلة الإجابات المبتدلة.Ban

وإذا ما جمعنا كل هذه المعطيات نجدها تصب في سلوك عدواني يتمثل في المرور للفعل الإجرامي و ليس للانتحار

يظهر السلوك العدواني كذلك من خلال الإجابات ذات المحددات اللونية المحضة C ، و المواقع الجزئية في اللون الأبيض Bdl.

هذا ما يدل على شخصية إجرامية مشحونة عاطفيا بكمية كبيرة .

من بين الاستنتاجات العامة ، نجد أن هؤلاء المفحوصين يندرجون في سجل حدي أو ما قبل ذهاني ، عاجزين على التحكم في أفعالهم . يظهر هذا جليا في إجاباتهم الجزئية D و المتنوعة بمحددات سيئة -f و الصدمة التي تحدثها الألوان مثل الاحمر والأسود ، كل هذا يدل على قوة الكف العقلي الناجم عن الاضطراب العاطفي .

لا يمكننا إنهاء هذه الدراسة دون الإشارة إلى قوة رد الفعل في اختبار الرورشاخ من خلال الصدمات ، الصدمة اتجاه اللون الاحمر ، الاسود ، الابيض و الوان اخرى و كذا صدمة الفراغ .

كل هذه الصدمات تعتبر عوامل مولدة لخلل واضطراب الإدراك ، يظهر من خلال ميكانيزمات دفاعية كالرفض التحويل . و انشاء محدد سلبي ، تتجلى هذه الصدمات بوضوح و تقتصر على اللوحات || , X| و التي ترمز الأمومة أو الداخل الأمومي .

و اخيرا نستطيع القول إنه كلما كان المرور للفعل هام ، كلما قل ظهور النتاج العدواني في اختبار الرورشاخ من خلال محتويات الإجابات.

كلما كان بروتوكول الرورشاخ غني بالمحتويات العدوانية ، قلت الخطورة ، هذا ما يسمى بالوظيفة التعويضية للهوّام

و من جهة أخرى و فيما يتعلق بالمحتويات العدوانية ، يجب التمييز بين فئتين :

1. فئة العدوان الجامد (الخامل) .
2. فئة العدوان النشط .

فالفئة الأولى تتميز في اختبار الروشاخ بمحتويات التجزئة ، التحطيم ، الموت ...الخ ، فالمنحرفين و المجرمين المستقبليين غالبا ما ينتمون إلى هذه الفئة .

اما الفئة الثانية فتتميز محتوياتها بالشمولية و قلة المرور للفعل الإجرامي ، من هنا نطرح السؤال التالي ؛ هل قلة المرور للفعل الإجرامي ناتج عن خضوع المفحوصين لاختبار الرورشاخ ؟

و بالتالي يصبح اختبار الرورشاخ في حد ذاته وسيلة للتنفيس catharsis و التقليل من حدة العدوانية .

الخلاصة :

يحتل هذا الموضوع مكانة هامة في علم الإجرام إلا أن الدراسات حوله لم تستطع التوصل إلى شخصية مميزة للمجرم من خلال اختبار الرورشاخ ، و لكن رغم ذلك تمكن الباحثون من تحديد بعض المؤشرات العدوانية في الاختبار الذي أجري على 67 مجرم استفادوا من ظروف مخففة جنبتهم أحكام الإعدام وهم حاليا في سجون تركيا ، استخلصت هذه الدراسات أن انتاجات المجرمين ضعيفة في الرورشاخ، حيث قلة الإجابات ، النسبة الضئيلة للإجابات الشاملة ، قلة الإجابات ذات المحددات الإيجابية ، غلبة نمط الرنين الحنينيTRI coarté المنغلق ، وجود إجابات ذات محتوى جنسي و إجابات clob .

قلة الإنتاج الحركي و الاجابات المتبدلة ban ، شدة إعادة تفعيل الصدمات للون الاحمر و صدمة الفراغ خاصة في اللوحة |X ، || و اللتان تدلان على نفس الرمزية اي الأنوثة الامومية .

أكدت دراسات أخرى دراسات Brusingen , Duraud 1973 على مجموعة مجرمين شباب و التي بينت مظاهر اندفاعية مرضية ، عدم الانجذاب للوحات اللونية مع وجود صدمات للون الاحمر و الاسود .

و اخيرا يرى أصحاب هذه الدراسة أن هؤلاء الشباب المجرمين يتميزون بعدم النضج ، واضطراب في القدرة على العلاقات الإنسانية و بالتالي اضطراب عميق في التكيف الاجتماعي .

- **ملخص:**

لقد اختلف الباحثون في مجال علم النفس و علم الإجرام مع القضاة ، فيما يتعلق بتحديد المسؤولية الجنائية عندما يتعلق الأمر بالسلوك العدواني العنيف المؤدي في بعض الأحيان إلى الجريمة و منها جريمة القتل .

يعتبر السلوك العدواني هو ذلك السلوك الذي يميل إلى الهجوم على الآخر أو على شئ يمكنه أن يمثل عائقا في تحقيق رغبة حسية .

لا تعتبر العدوانية مرادفا لمصطلح العنف الا أنها يمكن أن تظهر من خلال سلوكات عديدة ومختلفة لذى تعتبر الأفعال العدوانية من الأفعال الملفتة للانتباه أكثر من غيرها ، نظراً لطبيعتها الاستعراضية و إمكانية الخطورة فيها ، حيث تمتد هذه الخطورة من الحركات المهددة إلى القتل ، يستعمل فيها المعتدي قوته ا وسيلة كالسلاح ، كما تعتبر السلوكات العدوانية كالنظر و الاماءة محدثة العدوانية ، ثم تأتي بعد ذلك الكلمات التي تعتبر سلوكات عدوانية صريحة مثل النقد ، الشتم و التهديد.

تعتبر نظرية الإحباط - العدوان أكثر النظريات تداولا و هي نظرية Dollard ، الذي يرى أن هناك علاقة سببية عالمية بين الإحباط و العدوان، فكل إحباط و لو غير مرئي قد يولِّد عدوانية ، و كل عدوانية و لو غير مرئية ، قد تكون مسبوقة بإحباط .

لقد أظهرت هذه النظرية نوع من الإبداعية و الاكتشاف ، الا أنها تعرضت لبعض الانتقادات و هذا على المستوى النظري و على مستوى المفهوم وكذا على مستوى الخبرة و الملاحظة.

يتعلق الجانب التطبيقي في دراستنا هذه ، في تقديم وعرض حالة لتائب استفاد من قانون المصالحة بعد ما التحق بالجماعات المسلحة سنة 1994 .

سوف نقدم للقارئ مقابلة البحث التي قمنا بها معه و كذا نتائج اختبار الرورشاخ الذي اجريناه له :

الحالة : حمزة

المقابلة :

حمزة يبلغ من العمر 43 سنة ، متزوج ، وأب لطفل ، مستواه الدراسي ال7 أساسي ، التحق بالجماعات المسلحة سنة 1993 و سنه 20 سنة، يقول حمزة أنه تأثر بأخيه الأكبر الذي سبقه في ذلك .

يقول المفحوص انه استمتع كثيرا بتواجده في جبال المدية ، كما افتخر بأكله لجميع أنواع الحيوانات المتواجدة في الغابة .

ثم أضاف انه مازال يرغب في الالتحاق مرة أخرى بجبال المدية لإكمال النشاط المسلح ضد ما أسماهم "الحقارين الطغاة " .

كان المفحوص أثناء المقابلة هادئا ، كلامه واضح ، واثق من نفسه و غير مبال الى درجة انه وصف بوضوح مهامه ضمن الجماعة المسلحة ، حيث قال : " قمت بعمليات الاغتيال، جمع الأموال و المؤونة ، ترددت في بادئ الأمر ثم أصبحت الامور عادية بالنسبة لي " .
يرى المفحوص أن الشئ الوحيد الذي جعله يقبل بالهدنة هو الشعور بالملل عندما قل النشاط المسلح .

إختبار الرورشاخ لحمزة :

G F - A G PL . I

G F - Bot ماعجبتنيش هادي
1 تشبه للعقرب ، موجنيب
2 بطاطا تاع الترفاس

G F + A Ban G PL . II

هذي واشنو والله مافهمت
حاجة ، مكان والو
3 هاذو كلاب

G F - A G. PL III

ماشبهتهالحتى حاجة
ماكان والو
4 هذى لخرى ، النعامة
على حساب رجليها

G F + Ad. G PL IV

ما عندها حتى شبه
ماكان والو
5 حيوان ، حتى راسو
مكاش

G F + A G PL V
G F + A Ban G

6 هذا ديناصور

7 ولا بوجليدة
ولا فراشة

G F + Bot G PL VI

8 هذي راهي تبانلي
شجرة

G F + A Ban D les 2 cotes PLVII

9 جابلي ربي
شوادا القرد فوق
والتحت ذيب

G F - A D Lateral PL VIII

10 هذا ذئب ،
هذا زوج لوخرين
ما عرفتهمش

G C F Bot G PL IX

11 هذي تبانلي
شجرة

Persevenation PL X
G C F Bot G

12 هذي ثاني شجرة
بالورد نتاعها

السيكوغرام

- **R=12 G=10 F=10 A=8 F%=0,8 %**
- **TPS Tot =6,50 D=2 F+=7 H=0 F+%=0,60%**
- **F-=3 Ban= 4**
- **TPS / rép=31 CF=2 Bot=4**

- **TRI = OK/ 0**
- **Rc % = 0,1%**

+Choix

و واحدة علي شجرة و لوخرى علي فيها الذئب

-Choix

و و ، علي ماعرفتهمش .

تحليل البروتوكول :

1. الانطباعات العامة:

يتميز هذا البروتوكول بالغياب الكلي للإجابات ذات المحتوى الإنساني H، كما أننا نلاحظ تعدد الإجابات ذات المحتوى النباتي Bot مع صعوبة التناول.

2. التناول المعرفي :

تبين الاجابات الشاملة G و هذا رغم عددها صعوبة و خلل في التنظيم المعرفي عند المفحوص حيث إن نصفها تقريبا كان متبوع بمحددات شكلية سيء -F ثم ب CF والتي تدل على عدد التحكم في النشاط المعرفي و الافتقار للأصالة .

ان الاجابات الشاملة في هذا البروتوكول ، لم تدل على ذكاء يسمح للمفحوص بالتكيف ، نظرا لسوء نوعيتها التنظيمية ، عدم تسلسلها و صلابتها و فقر التناول فيها .

لقد أحدثت الوضعية الاختبارية هنا انفعالات مزعجة، لم يجد المفحوص وسائل معرفية تمكنه من خلق استقرار وتنظيم هذه الانفعالات.

لم يشمل البروتوكول على أي محدد حركي K هذا ما يبين صعوبة المفحوص على تصور ذاته من جهة أخرى بينت المحددات الشكلية السلبية نوع من الاجتياح الخيالي الذي أحدث خللا في تنظيم التكيف.

و أخيرا يمكننا القول بأن المعطيات الكمية و الكيفية التي سبقت تخبرنا على صلابة في الدفاع لدى المفحوص و كذا ميكانيزم الكف الذي منعه من التعبير عن قدراته المعرفية .

3. الدينامية العاطفية :

إن صلابة الدفاعات السالفة الذكر أوضحت الصراعات التي لم يجد المفحوص لمواجهتها إلا النزوات العدوانية التي عبر عنها في العديد من الأوقات ، كما هو الحال في اللوحة III أين لم يظهر المفحوص أي إحساس أو عاطفة فيما يتعلق بالعلاقات ما بين الأشخاص ، كما ترمز له اللوحة III و التي ترمز للنسق الإنساني ، يرى المفحوص فيها محتوى حيواني يتميز بالهروب من الخطر بوضع رأسه تحت التراب، هكذا يستعمل المفحوص ميكانيزم الإسقاط و الانتقال إلى التجنب و عدم مواجهة الصراعات.

يعيش المفحوص صراع علائقي في علاقته بالأب ، الأب الذي يفضله بدون رأس ، أي بدون أعين حتى لا يواجه نظراته اللوامة والمتهمة ، ترمز اللوحة IV دائما الى الأنا الأعلى ، هذا الأخير يتميز بالصلابة والقساوة ، يحتوي على النواهي ، كل هذا رفضه المفحوص بإستعمال ميكانيزم الإنكار ، مبعدا في ذلك كل تأثيرات الأنا الأعلى و ضغوطاته ، هذا ما سمح للمفحوص أثناء المقابلة أن يعبر بكل برودة عن نشاطه ضمن الجماعات المسلحة و أقر أنه كان مكلفا بالاغتيالات و جمع الأموال و المؤونة .

نريد أن نوضح في هذا التحليل أن المفحوص جرد جهازه النفسي من ركن الأنا الأعلى ، هذا ما جعله يعبر عن سلوكه العدواني بالمرور للفعل بكل سهولة.

فيما يتعلق ب TRI ، الذي لم تكن الغلبة لأي محدد ، يعتبر من النوع المنغلق والذي يدل على التوقف ، الفقر في التعبير وعدم القدرة على تناول الرموز ، كما يتميز هذا النمط بنبذ كل التعبيرات العاطفية و كذا بنقص القدرة على التكيف في وضعية ما ، عدم التسامح في وضعيات الشدة الفيزيولوجية و النفسية نظرا لصلابة ميكانيزماته الدفاعية .

4.عوامل التنشئة الاجتماعية :

يتميز المفحوص برفضه لكل العلاقات الإنسانية و الاجتماعية ، حيث لم يبذل أي مجهود في ذلك حتى ولو كان لغرض التطابق فقط .

أن غياب الإجابات ذات المحتوى الإنساني دليل على رفض العلاقات الإنسانية و هذا حتى في اللوحات التي تستدعي ذلك ، بهذا نجد أن المفحوص لا يرغب في إقامة علاقة بالواقع الذي يمثله الأنا الأعلى كما سلف ذكره

لقد بقي المفحوص من خلال إجاباته في المملكة الحيوانية فقط ، هذه المملكة التي يتميز أفرادها بالقوة، العدوان ، العنف و الغرائز العدوانية و التي تستعمل السلوك العدواني كوسيلة للتعبير و حفظ النوع .

في نهاية هذا التحليل و بالنظر الى نمط ال TRI و الذي يميز الشخصية ذات التوظيف النفسي الحدي ، يمكننا القول أن فرضيتنا العامة تحققت ، حيث يظهر أصحاب هذا التوظيف تعبيرات عدوانية يمكنها أن تصل إلى مستوى السلوك وهذا من خلال السهولة في المرور للفعل ، كما أكدته إجابة المفحوص على اللوحة **. VIII**

خاتمة:

لقد اختلف الباحثون في مجال علم النفس و علم الإجرام مع القضاة ، فيما يتعلق بتحديد المسؤولية الجنائية عندما يتعلق الأمر بالسلوك العدواني العنيف المؤدي في بعض الأحيان إلى الجريمة و منها جريمة القتل .

يعتبر السلوك العدواني هو ذلك السلوك الذي يميل إلى الهجوم على الآخر أو على شئ يمكنه أن يمثل عائقا في تحقيق رغبة حسية .

لا تعتبر العدوانية مرادفا لمصطلح العنف الا أنها يمكن أن تظهر من خلال سلوكات عديدة ومختلفة لذى تعتبر الأفعال العدوانية من الأفعال الملفتة للانتباه أكثر من غيرها ، نظراً لطبيعتها الاستعراضية و إمكانية الخطورة فيها ، حيث تمتد هذه الخطورة من الحركات المهددة إلى القتل ، يستعمل فيها المعتدي قوته ا وسيلة كالسلاح ، كما تعتبر السلوكات العدوانية كالنظر و إلاماءة محدثة العدوانية ، ثم تأتي بعد ذلك الكلمات التي تعتبر سلوكات عدوانية صريحة مثل النقد ، الشتم و التهديد.

قائمة المراجع

ـ بيك أرون. (2000). العلاج المعرفي والاضطرابات الانفعالية. بيروت، لبنان: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

-begue, l. (2010). l'orgression hurnaine. paris: DUNOD.

-chemama, r., & vandermersch, b. (2009). dictionnaire de la sychanalyse.

france: LAROUSSE.

-frappat, h. (2000). la violence. france: flammarion.

-freude. (1967). psychopathologie de la vie quotidienne. france: paris11.

-Gustave, G. (1955). Leçons de linguistique de Gustave Guillaume. paris: PUL Diffusion.

-hacker, f. (1972). agression et violence. france: Calmann-Lévy.

-le rorchach de l'enfant a ladute lioret de catation des forus jeuns le rershech1974